ثم ما اخذ من الاجتهاد فاذا الف الديوان على هـذا الوصف وحمل الناس على اتباعه كان اقرب لضبط الانتشار الواقع الآن وكثرة الخلاف الواقع بين اهل المذاهب والتعصبات الفاحشة المؤدية الى تضليل بعضهم بعضاً» الخ

انتهى ما تعلق بنقله الغرض بنصه وفصه كمال الدين المرغناني

من الجزائر فى ٢٣ من شوال سنة ١٣١٨

(المنار) اما رأينا فى الفقه فموافق لما جاء فى المحاورة بين المصلح والمقلد وقد ضاق عنها هذا الجزء وما قبله وستنشر فى الجزء الآتى ان شاء الله

﴿ القسم الثانى من الامالى الدينية فى النبوات ﴾

الدرس ١٩ — الحاجة الى الوحى والنبوة

بينا وجه حاجة الانسان الى الوحى لسعادته فى الحياة الدنيا من حيث انه نوع اجتماعي اودع فى طبيعة افراده من الرغائب والحظوظ ما يقتضى التباين والتنازع كما اودع فيها من حب الاجتماع والعجز عن تحصيل معظم ما تطالبها به الفطرة ما يدعو الى التعاون ، الذى يعارضه التخالف والتباين . ولا يتم للنوع ارتقاؤه بل ولا بقاؤه مع هذه الغرائز المتعارضة فمن ثم كان محتاجاً الى ارشاد يوفق بين آثار هـذه الغرائز وعوارضها ، بما يذهب بتعارضها ، ويعرف كل فرد من الافراد حده ، ويجعل له من نفسه وازعاً يوقفه عنده ، ولم تكمل له هذه الحاجة الا بالدين . ويرد على هذا القول ثلاث شبهات (احداها) ان الانسان لا يتربى الا بالكون وما يعرض عليه من شؤنه واطواره فالذى تثبت له الوقائع الكونية انه ضار يرغب عنه ويجتنبه ، والذى تثبت له انه نافع يرغب فيه ويجتلبه ، ولذلك لم تنتفع الامم الشعوب

بهدي الاديان ، الا بمقدار ما اعدتها له الاكوان ، وقد اجبنا عن هذه الشبهة فى الدرس السابق من غير ان نقررها . ولم يكن الجواب ناقضاً لمسئلة الاستعداد فقد ورد ان الانبياء امروا ان يخاطبوا الناس على قدر عقولهم وما منح الله تعالى الانسان الدين الا بعد ما ارتقى استعداده لفهمه « كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين » الخ

وقد ارتقى هدي الدين وارشاده بارتقاء الانسان حتى كمل بالاسلام على ما بينه استاذنا الاكبر فى رسالته وسيرتقى اهله وهم العالم الانسانى كله (بالنسبة الى الدعوة) حتى يفهموه حق فهمه وذلك بعد ما ترتقي علوم الفطرة والطبيعة اكمل ارتقاء كما قال تعالى « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنهم الحق »

(الشبهة الثانية) هى : ان الحكماء والعقلاء يمكنهم ان يضعوا للناس قوانين وحدوداً تنهيهم عن الوحي والشرائع السماوية . والجواب عنها انه اذا فرض ان فى استطاعة الحكماء ان يستقلوا بهذا الوضع فهل فى استطاعتهم ان يحملوا الناس جميعاً على قبوله والعمل به بغير وازع الدين ؟ فان قيل ان الحكماء يضعون القوانين والحكام يلزمون الناس بالعمل بها نقول :

لا ترجع الانفس عن غيها ما لم يكن منها لها زاجر

والوازع الديني وازع نفسي لان مبدأ الدين من الالهامات الفطرية فى نفوس البشر . وأما وازع القوة فلا سلطان له إلا على الظواهر فمتى أمن اهل البغي والتعدي من اطلاع الحاكمين يرتكبون ما شاء البغي ويجترحون ما احبت الشهوة من التعدي على الأموال والاعراض وراء الحجب والاستار وحيث لا تمتد أعين الشهداء ، ولا تصل معارف القضاة

والامرآء ، ثم ان القضاة والحكام أنفسهم اذا كانوا على غير دين يتهكون الحرمات ، ويقترفون السيئآت ، ويساعدون الجناة ، ويشاركون الجباة ،

والحاصل ان الانسان لا يستغني فى حياته الاجتماعية عن حدود عادلة يقف افراده عندها فى معاملتهم ومعاشرتهم وان هذه الحدود لا تحترم ويوقف عندها الا اذا كانت على موافقتها للمصلحة العامة مضافة الى تلك السلطة الغيبية التى فطر الناس على الاعتقاد بها والخضوع لها وهذا عين حاجتهم الى الوحي لسعادة الدنيا . وقد تقدم المثال العملي فى اثبات هذه النظرية فى الدرس السابق .

(الشبهة الثالثة) لقائل ان يقول : ان أمم أوربا التي تحكم بالقوانين الوضعية هي أسعد من الامة الاسلامية وان الحكومات الاسلامية التي أخذت ببعض هذه القوانين كمصر والدولة العلية أحسن حالا ممن لم يأخذ بشيء منها كحكومة مراكش . والجواب يعرف مما كتبناه فى الدرس الماضى من المقابلة بين المسلمين فى نشأتهم الاولى وبين الاوربيين فى نهايتهم مع انهم لم يعرفوا كلهم من الدين الذى بني على وجوب طاعة الحكام وقد صرحنا مرارا ان المسلمين صاروا حجة على دينهم بل قلنا فى المقابلة المذكورة انهم حجة من لا دين له على كل دين .

(المسئلة ٥٦) الحاجة الى الوحي لسعادة الآخرة — خلق الله للانسان حواسّ ومشاعر ووهبه عقلا وفكراً يهتدي بها الى مصالحه ومنافعه فى الدنيا كما قال « أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » وعلمنا ان هذه المواهب لم تكن كافية له لسعادته الدنيوية لولا الدين فما بالك بحياته الأخرى الغيبية التي يقصر عن تناولها حسه ولا يحيط بشيء من كنهها عقله وانما يشعر

بها وجدانه شعوراً مجملاً مبهماً ؛ وقد بين استاذنا فى «رسالة التوحيد» هذا الشعور أحسن بيان ، واستنتج منه وجه الحاجة الى الوحي بأجلى برهان ، والافضل ان نقتبسه بلفظه ومعناه ، لئلا يضيع شيء من فحواه ، قال حفظه الله ، :

«اتفقت كلمة البشر موحدين ووثنيين ملبين وفلاسفة الا قليلاً لا يقام لهم وزن على ان لنفس الانسان بقاء تحيا به بعد مفارقة البدن وانها لا تموت موت فناء وانما الموت المحتوم هو ضرب من البطون والخفاء وان اختلفت منازعهم فى تصوير ذلك البقاء وفيما تكون عليه النفس فيه وتباينت مشاربهم فى طرق الاستدلال عليه فمن قائل بالتناسخ فى اجساد البشر أو الحيوان على الدوام ومن ذاهب الى ان التناسخ ينتهي عند ما تبلغ النفس أعلى مراتب الكمال . ومنهم من قال انها متى فارقت الجسد عادت الى تجردها عن المادة حافظة لما فيه لذتها ، او ما به شقوتها ، . ومنهم من رأي انها تعلق بأجسام اثيرية ، ألطف من هذه الاجسام المرئية ، وكان اختلاف المذاهب فى كنه السعادة والشقاء الأخرويين وفيما هو متاع الحياة الآخرة وفى الوسائل التى تعد للنعيم أو تبعد عن النكال الدائم وتضارب آراء الامم فيه قديماً وحديثاً مما لا تكاد تحصى وجوهه .

« هذا الشعور العام بحياة بعد هذه الحياة المنبثُّ فى جميع الانفس عالمها وجاهلها وحشيها ومستأنسها باديها وحاضرها قديمها وحديثها لا يمكن ان يكون ضلة عقلية أو نزغة وهمية وانما هو من الالهامات التى اختص بها هذا النوع . فكما ألهم الانسان ان عقله وفكره هما عماد بقائه فى هذه الحياة الدنيا وان شذّ افراد منه ذهبوا الى ان العقل والفكر ليسا بكافيين

للارشاد فى عمل ما او الى انه لا يمكن للعقل ان يوقن باعتقاد ولا للفكر ان يصل الى مجهول بل قالوا ان لا وجود للعالم الا فى اختراع الخيال وانهم شاكّون حتى فى انهم شاكون ولم يطعن شذوذ هؤلاء فى صحة الإلهام العام المشعر لسائر افراد النوع ان الفكر والعقل هما ركن الحياة واس البقاء الى الاجل المحدود — كذلك قد ألهمت العقول وأشعرت النفوس ان هذا العمر القصير ليس هو منتهى ما للانسان فى الوجود بل الانسان ينزع هذا الجسد كما ينزع الثوب عن البدن ثم يكون حيّاً باقياً فى طور آخر وان لم يدرك كنهه . ذلك الهام يكاد يزاحم البديهة فى الجلاء يُشعِر كل نفس انها مستعدة لقبول معلومات غير متناهية من طرق غير محصورة شيقة الى لذائذ غير محدودة ولا واقفة عند غاية مهيأة لدرجات من الكمال لا تحددها اطراف المراتب والغايات معرّضة لآلام من الشهوات ونزعات الاهواء ونزوات الامراض على الاجساد ومصارعة الاجواء والحاجات وضروب من مثل ذلك لا تدخل تحت عد ولا تنتهى عند حد . إلهام يستلفتها بعد هذا الشعور الى ان واهب الوجود للأنواع انما قدر الاستعداد بقدر الحاجة فى البقاء ولم يعهد فى تصرفه العبث والكيل الجزاف فما كان استعداده لقبول مالا يتناهى من معلومات وآلام ولذائذ وكمالات لا يصح ان يكون بقاؤه قاصراً على ايام او سنين معدودات

« شعور يهيج بالارواح الى تحسّس هذا البقاء الأبدي وما عسى ان تكون عليه ، متى وصلت اليه ، وكيف الاهتداء واين السبيل ، وقد غاب المطلوب وأعوز الدليل ؟ ، شعورنا بالحاجة الى استعمال عقولنا فى تقويم هذه المعيشة القصيرة الأمد لم يكفنا فى الاستقامة على المنهج الاقوم بل لزمتنا

الحاجة الى التعليم والارشاد وقضاء الازمنة والاعصار ، فى تقويم الانظار ، وتعديل الافكار ، واصلاح الوجدان ، وتثقيف الأذهان ، ولا نزال الى الآن من همّ هذه الحياة الدنيا فى اضطراب لا ندرى متى نخلص منه ، وفى شوق الى طمأنينة لا نعلم متى تنتهى اليها ،

« هذا شأننا فى فهم عالم الشهادة فماذا نؤمل من عقولنا وافكارنا فى العلم بما فى عالم الغيب . هل فيما بين ايدينا من الشاهد معالم نهتدى بها الى الغائب وهل فى طرق الفكر ما يوصل كل احد الى معرفة ما قدر له فى حياة يشعر بها وبان لا مندوحة عن القدوم عليها ولكن لم يوهب من القوة ما ينفذ الى تفصيل ما اعد له فيها والشؤن التى لابد ان يكون عليها بعد مفارقة ما هو فيه او الى معرفة يد من يكون تصريف تلك الشؤن؟ . هل فى أساليب النظر ما يأخذ بك الى اليقين بمناطها من الاعتقادات والاعمال وذلك الكون مجهول لديك ، وتلك الحياة فى غاية الغموض بالنسبة اليك ، ؟ كلا فان الصلة بين العالمين تكاد تكون منقطعة الا فيك انت . فالنظر فى المعلومات الحاضرة ، لا يوصل الى اليقين بحقائق تلك العوالم المستقبلة ،

« أفليس من حكمة الصانع الحكيم ، الذى أقام امر الانسان على قاعدة الارشاد والتعليم ، الذى خلق الانسان ، وعلمه البيان ، علمه الكلام للتفاهم ، والكتاب للتراسل ، ان يجعل من مراتب الانفس البشرية مرتبة يعدلها بمحض فضله بعض من يصطفيه من خلقه وهو اعلم حيث يجعل رسالته يميزهم بالفطر السليمة ويبلغ بارواحهم من الكمال ما يليقون معه للاستشراق بانوار علمه ، والامانة على مكنون سره ، مما لو انكشف

لغيرهم انكشافه لهم لفاضت له نفسه ، او ذهبت بعقله جلالته وعظمه ، فيشرفون على الغيب باذنه ، ويعلمون ما سيكون من شأن الناس فيه ، ويكونون فى مراتبهم العلوية على نسبة من العالمين نهاية الشاهد ، وبداية الغائب ، فهم فى الدنيا كانهم ليسوا من اهلها ، وهم وفد الآخرة فى لباس من ليس من سكانها ، ثم يتلقون من امره ان يحدثوا عن جلاله وما خفى على العقول من شؤن حضرته الرفيعة بما يشاء ان يعتقده العباد فيه وماقدر ان يكون له مدخل فى سعادتهم الاخروية وان يبينوا للناس من احوال الآخرة مالا بد لهم من علمه مبرين عنه بما تحتمله طاقة عقولهم ، ولا يبعد عن متناول افهامهم ، وان يبلغوا عنه شرائع عامة تحدد لهم سيرهم فى تقويم نفوسهم وكبح شهواتهم وتعلمهم ما هو مناط سعادتهم وشقائهم فى ذلك الكون المغيب عن مشاعرهم بتفصيله ، اللاصق علمه باعماق ضمائرهم فى اجماله ، وتدخل فى ذلك جميع الاحكام المتعلقة بكليات الاعمال ظاهرة وباطنة ثم يؤيدهم بما لا تبلغه قوى البشر من الآيات حتى تقوم بهم الحجة ويتم الاقناع بصدق الرسالة فيكونون بذلك رسلاً من لدنه الى خلقه مبشرين ومنذرين ؟ ؟

« لاريب ان الذى احسن كل شىء خلقه ، وأبدع فى كل كائن صنعه ، وجاد على كل حى بما اليه حاجته ولم يحرم من رحمته حقيراً ولا جليلا من خلقه يكون من رأفته بانوع الذى اجاد صنعه واقام له من قبول العلم مايقوم مقام المواهب التي اختص بها غيره ان ينقذه من حيرته ويخلصه من التخبط فى اهم حياتيه ، والضلال فى افضل حاليه ،

« يقول قائل : ولم لم يودع فى الغرائز ما تحتاج اليه من العلم ولم يضع

فيها الانقياد الى العمل وسلوك الطريق المؤدية الى الغاية فى الحياة الآخرة وماهذا النحو من عجائب الرحمة فى الهداية والتعليم ؟ وهو قول يصدر عن شطط العقل والغفلة عن موضوع البحث وهو النوع الانسانى ذلك النوع على ما به وما دخل فى تقويم جوهره من الروح المفكر وما اقتضاه ذلك من الاختلاف فى مراتب الاستعداد باختلاف افراده وان لا يكون كل فرد منه مستعداً لكل حال بطبعه وان يكون وضع وجوده على عماد البحث والاستدلال فلو ألهم حاجاته كما تلهم الحيوانات لم يكن هو ذلك النوع بل كان اما حيواناً آخر كالنحل والنمل اوملكاً من الملائكة ليس من سكان هذه الارض » اه

آثار علمية ادبية

العشق وحرية العرب

دخل يزيد بن معاوية على أبيه أيام حكمه مستأذناً بقتل ابى دَهْبَل وهب بن زمعة الجُمَحيّ لانه اكثر التغزل فى اخته عاتكة واشتهر بعشقها وسارت بأشعاره الركبان وتغنى بها الناس فقال معاوية وماذا قال ؟ فأنشده يزيد ابياتاً من قصيدة ابى دهبل النونية وهي :

طال ليلي وبتُّ كالمجنون　　　وملتُ الثَّوآء فى جيرون
وأُطلت المُقام بالشام حتى　　　ظن أهلي مرجمات الظنون
فبكت خشيت التفرق جُمْل　　　كبكاء القرين إِثر القرين